المعترك السياسي وموقف السلف منه

ومَن صَحِبَ الوُلاةَ بِلا اعْتِزَازٍ
ولا لاقَى مِن الذِّكْرَى مُعِينا

الذي يصاحب الولاة والحكام بدون اعتزاز بدينه وليس عنده ذكرَى تساعده.

فقد أَلْقَى يَدَيْهِ بِلا احْتِرازٍ
وأَرْدَى نَفْسَهُ في الهَالِكِينا

فقد ألقى بيديه إلى التهلكة بدون وقاية ولا احتراز.

وقد صدَقَ الرسولُ فَمَن أَتاهم
إلى أَبوابِهم لَقِيَ الفُتُونا

مصاحبة السلاطين خطيرة جداً، والرسول ﷺ يقول في الحديث الذي رواه الطبراني ـ رحمه الله ـ، وذكر الألباني ـ رحمه الله ـ أنه صحيح: (**مَن أتَى أبوابَ السلطانِ افْتُتِن**)... والخطورة واردة على دين المصاحب لهم .. بسبب الفتن والضغوط التي يتعرّض لها، ولا

ينجو إلا القلة من الأفذاذ الأقوياء بإيمانهم ودينهم ، وأما الغالبية فإن بهْرج السلطان وأجواء الترغيب والترهيب تجْرفهم ... والسلامة من الوباء في الابتعاد عنه ، والسلامة لا يَعدلها شيء ... ولا يقتحم مَواطن الوباء إلاّ الأطباء الحُذّاق المهَرة ، لضرورة العلاج، مستعينين بطاقة عظيمة من الاعتماد على الله والتوكل عليه والاستهداء بهدايته، مع النظر إلى المرضى وإنْ كانوا ذوي مكانة دنْيوية رفيعة نظْرة إشفاق ورثاء وحرْص على دعوتهم وإنقاذهم وليس نظَر طمع وإعجاب .

وكم مِن قادَةٍ في الدِّين فَرُّوا
بَعيداً عن بلاط الحاكمينا

كم من قادة من العلماء القدامى نأوا بأنفسهم عن قصور الحكام وفتَن السياسة .

بِرَغْمِ الفِقْهِ والتَّقْوَى وقَرْنٍ
أَنَاخَ بِبَعضِهم في التابعينا

وبعضهم كانوا من عصر التابعين ...في عصرٍ لا زال

فيه التمسُّك بالإسلام متيناً ... ولدى هؤلاء العلماء التقوى والفقه، ومع هذا هربوا من الحكام خوفاً على أنفسهم.

فَلا البَصْرِيُّ والثَّوْرِيُّ أَخْذَى
ولا النُّعمانُ أَوْشَكَ أَنْ يَلِينا

لم يتزلَّف أحد منهم لحاكم، ولا رغب في جواره، ولا ذلَّ ولا استخْذَى، ولا طلَب الحكْم والولاية، بل بعضهم طلبوه لها ومع ذلك هرب منها، ومن هؤلاء القادة الأئمة: الحسن البصري وسفيان الثوري، وكذلك النعمان وهو أبو حنيفة، لم يَكُنْ لَيِّناً رغم أنهم أرادوا منه أن يكون قاضياً، وضربوه على ذلك فلم يقبل.

ويَزْهَدُ مالِكٌ فيهم ويُؤْذَى
ويَقْفُو الشافعيُّ الأَوَّلينا

وقد زهِدالإمام مالك في عُروض الحكام فلقِي الإيذاء، وجاء الإمام الشافعي فلحق بالأوّلين من الأئمة، فلم يقترب من الحكام ولا من السياسة المتنازلة عن الالتزام.

ويَصْمُدُ أَحْمَدٌ كالطَّوْدِ صَمْداً
ولَو أَرْضَى الوُلاةَ أَضاعَ دِينا

كما صمَد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ـ كالجبل في فتنة القول بخلق القرآن... وهي فتنة مستوردة من الفلسفات والأفكار الأجنبية شبيهة بمُستورَدات اليوم من الفلسفات والأفكار الأجنبية كالديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية والعولَمَة والتعايُش والليبرالية والعلمانية والحرية الزئبقية وأخواتهن .

وكان يمكنه أن يداهن الولاة من باب السياسة ولكنه لم يقبل، لأن في ذلك إضاعةً للدين ، فعُذّب في الله وأوذي وصبر حتى نصَره الله وأظْهره وأعْلى شأْنه وإمامته في المسلمين . كذلك فإنه لم يسارع في تكفير المعيَّن لا من الحكام ولا من غيرهم ،واحتمل لهم التأويل أوالجهل أو نحو ذلك ، رغم الاضطهاد الذي لقيه منهم مع إخوانه العلماء،حتى بلغ الأمر إلى حد قتْل بعض هؤلاء العلماء، وذلك لأن التكفير يحتاج إلى ظهور الكُفْرِ

البَوَاح الذي يكون عند الناس فيه من الله برهان لا لَبْس فيه ولا احتمال ، والخطأ في عدم التكفير أهون بكثير من الخطأ في التكفير ، قال عليه الصلاة والسلام : (**إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ، فإنْ كان كما قال وإلاّ رجعتْ عليه**) رواه مالك والبخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما . إن كلمة التكفير لايمكن أنْ تذْهب سدى ... لابد أنْ تصيب في كل الأحوال ... لا بد أن تصيب المقُول له أوالقائل... ولم يقبل النبي ﷺ اعتذار حِبِّه وابن حبه أسامة بن زيد رضي الله عنهما عندما قال له أحد المشركين وهوتحت السيف : (لا إله إلا الله) ، فقَتَلَه أسامة،واعتذر للنبي ﷺ بأن الرجل لا زال كافراً ، وأنه إنما قال ما قال خوفاً من السيف، فقال له النبي ﷺ : (**هلاّ شقَقْتَ عن قلبه حتى تعلم هل قالها أمْ لا ؟!**) . وعندما سأله المقداد رضي الله عنه كما في الحديث المتفق عليه : أرأيت إنْ قطع في القتال رجُلٌ من الكفار يدي ثم لاذَ منِّي بشجرة فقال أسلمتُ لله.. أفأقتله بعد ما قالها؟! .

فنهاه الرسول ﷺ ، فكرّر السؤال فكرّر النهي وغلّظ . وهذا يدلّ على خطورة التكفير المُتَسَرِّع للشخص المُعَيَّن حتى لوكان المسلم في أشدّ الابتلاء!! .

✍ أَصحَّاءُ السياسة كُلُّ حِصْنٍ
بَنَى بالشَّرْعِ مَوْقِعَهُ الحَصينا

هؤلاء هم أصحاء السياسة وحصونها،الذين يعتمدون الشرع وضوابط الشرع، ولا يتنازلون ولا يخلطون... ونحن لا نقول بأن على جميع الناس أنْ يبتعدوا عن السياسة وعن الحكام ابتعاداً مطلقاً، بل نقول يتعاملون معها ومعهم بضوابط الشرع... والذين لا يستطيعون أن يتحملوا الضوابط وينضبطوا بها ـ وهؤلاء هم الأكثرية الساحقة من المُتَسيِّسين ، حتَّى مِن أولئك الذين يقال عنهم إنّهم سياسيّون إسلاميون ـ عليهم أن يبتعدوا عن السياسة وعن الحكام.

✍ فَأَرْسَى الشرْعَ لا يَخشَى مَلامًا
ولم يَلْحَقْ بِرَكْبِ المُدْهِنينا

السياسيُّ المنضبط هوالذي يُرْسِي أحكام الشرع ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يمضي مع جموع المُدْهنين ...فالأجانب والحكام يُحبُّون المُدْهنين ، كما قال جل وعلا: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)﴾ [القلم :٩] .

بِذَا يَخْتارُ يوسفَ في التأَسِّي
ودفْعِ الجَوْرِ جَوْرِ القاسِطِينا

من التزم الانضباط فإنه يختار أن يتأسى بيوسف عليه السلام الذي جالس الحكام، وكان قوياً في إقامة الحق، ودفْع جَور الظلمة.

انظروا إلى موقف واحد من مواقف يوسف عليه السلام ... لم يرضَ أن يخرج من السجن لما جاءه الرسول؛ حتى يظهَر الحق... قال كما حكى القرآن: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠].

[وقال الرسول عليه الصلاة والسلام ـ مُكْبِراً في يوسف هذا الموقف ـ : **(لو لبثتُ في السجن طول ما لبِثَ يوسف لأجبتُ الداعي)** ، كما في الحديث المتفق

عليه... وقف يوسف عليه السلام أمام الفِرْيَة الظالمة؛ ولم يجب الداعي حتى ظهرت براءة ساحته، ولم يضعف أمام إغراء الملك، كما لويضعف من قبل أمام إغراء المرأة.

وخيرُ الناسِ أفضلُهم جهاداً
بنَصْرِ الحقِّ عندَ الجائرينا

(أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) كما في الحديث الذي رواه أحمد وغيره وهوصحيح. وبهذا المعيار يصاحب الملتزمون الحكام.

وبَينَ اللِّينِ والإدْهَانِ فَرْقٌ
يُضاهِي الخَيْزُرَانَةَ والدُّهُونا

بعض الناس يقول: لا بد من اللين، نقول له: هذا صحيح، ولكن هنالك فرْق بين اللين المشروع وبين الإدْهان المُنْتَسِب للنفاق، كالفرق بين الخيزران والدُّهن... فالخيزرانة لَيِّنة مع صلابة، أما الدهن فيذوب بأدنى حرارة ولا يثبت... لا نريد أن يختلط الأمر بين اللين والإدْهان... نريد لِيناً في السياسة مع صلابة أمام

التنازلات... أمّا الذوبان أمام واردات الأجانب والحكام فهو إدْهانٌ يَنْتُج عنه إدخال الشوائب في الإسلام كإدخال الديمقراطية أوالحقوق العلمانية للمرأة أو للإنسان ... وقد يَجُرُّ الإدْهان إلى نقْض العقيدة ، نسأل الله العافية.

الندوي والإخوان والسياسة:

رَوَى الندْوِيُّ ما نَقَلَ السِّبَاعي
عن البَنَّاءِ بَعْدَ الأَرْبَعِينا
بِتَأْخيرِالسياسةِ والتَّصَدِّي
لِمَأْساةِ التّنافُسِ أنْ تَكُونا

روى الندوي ـ رحمه الله ـ عن مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ أنه قال بأن الشيخ حسناً البنا ـ رحمه الله ـ بعد ما بلغ سن الأربعين، وبعد الأربعينيات في القرن العشرين الميلادي... بعد أن جرّب السياسة المعاصرة وذاق منها المرارة... روَى عنه أنه قال:عرفنا أنه لا يثبت معنا إلا الصادقون، والسياسة لا يصلُح لها إلا الخُلَّص،

فلذلك يجب أن نبتعد عنها ونتفرغ للتربية... ولعل غرضه أن يربي رجالاً أقوياء، ثم إذا عَرَضتْ السياسة أو فُرِضتْ خاضوا فيها على قدْر الحاجة بلا توَسُّع؛ لأن السياسة مُغْرِية والدنيا مغرية، والخائضون بلا حصانة يتساقطون.

✍ رواهُ لِشَرْقِنا في ذِكْرَياتٍ
لهُ إِذْ ساحَ لا كالسائحينا

روى الندوي ذلك في كتابه: (مذكرات سائح في الشرق العربي) ولم تكن سياحته للنزهة كما يفعل السائحون وإنما للإرشاد والاعتبار.

✍ كما أَهْدَى إِلى الإِخوانِ بَحْثاً
وسَمَّاهُ التَحَدُّثَ لِلأَخِينا

أهدى الندوي إلى الإخوان بحثاً سماه:

(أريد أن أتحدث إلى الإخوان) وهونصيحة ذكر فيها أن السياسة لها ضوابط، وأنها لا يجوز أن تطغى على الفروض الأخرى، وهذا الكتاب ارتاح له الإخوان، وقد قرأه على قيادتهم وهم مجتمعون في مكتب الإرشاد، وبثّ

فيه شجونه وعواطفه تجاه الإخوان، ثم بعد ذلك أصدَرَه الإخوان في طبعة قدّم لها المرشد العام حسن الهضيبي،ثم في طبعة أخرى قدم لها الشيخ محمد الغزالي عضومكتب الإرشاد،وعمّموه على سائر الإخوان. وقد انتقد الندوي بأسلوبه الهادئ الانغماس في السياسة،وأوضح أن ذلك يكون على حساب الواجبات والمسئوليات والطاعات، وأنه سببٌ لضعف السلوكيات وطغيان السلبيات، وبيئةٌ للتأثر بالمنحرفين والانحرافات... إلخ.

وحَدَّ به السياسةَ عند حَدٍّ
لإنْصافِ الفُروضِ الآخَرِينا
ونالَ بمكْتبِ الإرشادِ فهْماً
وتَعميماً وتقْديماً رَصِينا
وما خَوْضُ السياسةِ في فَريقٍ
غَريقٍ في الخَطايا كاذِبينا
سِوَى مُستَنْقَعٍ مَن خاضَ فيه
تَلَطَّخَ مِثلَ باقي الخَائِضِينا

الذي يخوض السياسة مع أناس غير ملتزمين هو في الحقيقة يخوض في المستنقع الذي هم فيه فيتلطخ كما يتلطخون.

✍ وأَسْلَمَةُ السياسةِ وَفْقَ شَرْعٍ
بتَرْبيةِ الفَريقِ السائِسينا

إذا أردنا أن نُؤَسْلِم السياسة ومواقف السياسيين، فإن المفترض أن نرتفع بهم بالتربية إلى مستوى أخلاقيات الإسلام، لا أن ننزل معهم إلى المستنقع.

✍ وتَنْقِيَةِ الطريقِ بِكُلِّ وُسْعٍ
وتَنْحِيَةِ الرفيقِ المُدْهِنينا

الأصل في السياسة؛ أن الدخول فيها لمنع المنكرات وتنقية الطريق قدْر الطاقة أمام محاسن الإسلام، والعمل بالحكمةعلى إزاحة رُفَقَاء السوء وبطانة النفاق والإدْهان والتملُّق عند الوُلاة والحكام. وقاعدة الإسلام الذهبية في السياسة التي يعتنقها أهل السُّنَّة والجماعة هي مناصحة الحكام ما داموا في دائرة الإسلام دون التأثّر بانحرافاتهم أو تبريرها..وليس منافسة الحكام على الكراسي أو

الخروج عليهم كما هوالمنهج الديمقراطي المستورد، ومنهج أهل البدع كالخوارج والمعتزلة (انظر: كتاب فتنة الدهيماء للمؤلف) ،وفي حال ظهور الكفر البواح من الحاكم يكون الخروج عليه إنْ وُجِدتْ الاستطاعة ، أو الإعداد لحصول الاستطاعة إنْ لم توجد .

هو الإسلامُ ساسَتُهُ نُجُومٌ

وكالبلّوْرِ ليسُوا مُدْخِنينا

ساسَة المسلمين الأصحاء نجومٌ لا تتلوّث أبداً، كالزجاج البلوري البراق من شدة الصفاء...لا يصابون بالدَّخَن بمجالستهم للسلاطين،وإنما يَبقَون على صفائهم يؤثِّرون ولا يتأثرون..يقول الرسول ﷺ عمّن يجالس الأمراء أو بعض الأمراء كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره وذكر الألباني أنه صحيح :(**فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ؛فليس مني ولستُ منه، ولن يَرِد عليَّ الحوض، ومن لم يُصدّقْهم بكذبهم ولم يُعِنْهم على ظلمهم ؛ فهومني وأنا منه ،وسَيَرِد عليَّ الحوض**) .